كتاب

"عُدَّة الصابرين وذخيرة الشاكرين"

))***((

هو أحد أشهر وأهم مؤلفات الإمام **شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي**، المعروف بـ **ابن قيّم الجوزية**)ت ٧٥١ هـ.(

يعتبر هذا الكتاب مرجعاً أساسياً في بابه، وهو من كنوز التراث الإسلامي في مجال تزكية النفس والرقائق والسلوك.

إليك نبذة تفصيلية عن الكتاب:

عنوان الكتاب الكامل

عُدَّة الصابرين وذخيرة الشاكرين
(The Provision of the Patient and the Treasure of the Grateful)

من العنوان يتضح أن الكتاب لا يتناول الصبر فقط، بل يربطه بمقام عظيم آخر وهو الشكر، ويعتبرهما جناحي المؤمن اللذين يطير بهما إلى ربه.

موضوع الكتاب وأهميته

يدور الكتاب حول ركنين عظيمين من أركان الإيمان والعبودية، وهما :**الصبر والشكر** .يرى ابن القيم أن حياة المؤمن كلها تدور بين هذين المقامين، فإما أن يكون في نعمة فيشكر، أو في مصيبة فيصبر.

تقوم فكرة الكتاب على الحديث الشريف: "عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيراً له."

المحاور الرئيسية والمحتويات

قسّم ابن القيم كتابه بأسلوب منهجي بديع، ينتقل فيه بالقارئ من التعريفات اللغوية والشرعية إلى مراتب العمل القلبي وتطبيقاته. ومن أبرز محتوياته:

1. **حقيقة الصبر وأقسامه:**
   - يبدأ بتعريف الصبر لغةً واصطلاحاً.
   - يذكر أنواعه الثلاثة الرئيسية:
     - **الصبر على طاعة الله :**وهو الثبات على أداء الأوامر والعبادات.
     - **الصبر عن معصية الله :**وهو كفّ النفس ومنعها عن ارتكاب المحرمات.
     - **الصبر على أقدار الله المؤلمة :**وهو تحمل المصائب والبلايا دون سخط أو جزع.
   - يوضح أن الصبر على الطاعة وعن المعصية أفضل وأعلى درجة من الصبر على الأقدار.
2. **الصبر في القرآن والسنة:**
   - يستعرض عشرات الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحث على الصبر وتبيّن فضله وجزاء أهله.
   - يذكر أن الله ذكر الصبر في القرآن في أكثر من تسعين موضعاً.
3. **حقيقة الشكر وأركانه:**
   - بعد أن يفرغ من تفصيل الصبر، ينتقل إلى الشق الثاني من الكتاب وهو الشكر.
   - يعرّف الشكر ويبين أنه ليس مجرد كلمة تقال باللسان، بل له أركان ثلاثة:
     - **شكر القلب :**وهو الاعتراف بالنعمة وأنها من الله.
     - **شكر اللسان :**وهو الثناء على الله وحمده.
     - **شكر الجوارح :**وهو استخدام هذه النعم في طاعة الله وليس في معصيته.
4. **العلاقة بين الصبر والشكر:**

- هذا هو جوهر الكتاب، حيث يوضح ابن القيم أن الإيمان نصفان :**نصف صبر ونصف شكر**.
- يبين أن المؤمن لا يخلو من حالتين: نعمة تستوجب الشكر، أو بلية تستوجب الصبر. فمن قام بهما، فقد حاز كمال الإيمان.
- يناقش مسألة: "أيهما أفضل: الغني الشاكر أم الفقير الصابر؟" ويقدم تحليلاً عميقاً للمسألة.

٥. **ثمار الصبر والشكر:**

- يخصص فصولاً لبيان الفوائد العظيمة والثمرات الدنيوية والأخروية التي يجنيها الصابرون والشاكرون، مثل معية الله، والمحبة، والأجر العظيم بغير حساب.

مميزات أسلوب ابن القيم في الكتاب

١. **العمق والتحليل :**لا يكتفي بذكر النصوص، بل يغوص في معانيها ويستخرج منها لطائف وفوائد روحية ونفسية دقيقة.

٢. **الاستدلال الواسع :**الكتاب غني بالآيات والأحاديث والآثار عن السلف الصالح، مما يجعله موثقاً وقوياً في حجته.

٣. **اللغة البلاغية :**يتميز أسلوبه بالجمال الأدبي والقدرة على لمس شغاف القلب، مما يجعل القراءة ممتعة ومؤثرة.

٤. **المنهجية والترتيب :**ينتقل بالقارئ بسلاسة من موضوع إلى آخر، مما يساعد على فهم الأفكار بشكل متكامل.

لمن هذا الكتاب؟

هذا الكتاب ليس للمتخصصين فقط، بل هو لكل مسلم ومسلمة يسعى إلى:

- فهم حقيقة الصبر والشكر وكيفية تطبيقهما في حياته.
- إيجاد السكينة والعزاء عند نزول المصائب والشدائد.

- تعميق علاقته بالله من خلال فهم مقامات العبودية.
- تزكية نفسه وتهذيب سلوكه.

خلاصة:
كتاب "عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين" هو بلسم للقلوب، ودليل عملي للمؤمن في رحلته إلى الله. إنه يعلمنا كيف نحوّل المحن إلى منح، وكيف نعيش حياة متوازنة بين الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء، لننال بذلك خيري الدنيا والآخرة.

عُدَّة الصابرين وذخيرة الشاكرين: صيدلية إيمانية لكل زمان ومكان 💎📜

في خضمّ أمواج الحياة المتلاطمة، حيث تتقاذفنا رياح النعم والنقم، وتتعاقب علينا أيام السراء والضراء، يقف الإنسان حائراً يبحث عن بوصلة توجه قلبه، ومرساة تثبّت فؤاده. في هذا السياق، يبرز كتاب **"عُدَّة الصابرين وذخيرة الشاكرين "**للإمام ابن قيّم الجوزية كمنارة هداية ودستور عملي، يقدم للمؤمن الزاد الذي لا ينضب، والكنز الذي لا يفنى.

هذا الكتاب ليس مجرد سرد للنصوص، بل هو رحلة روحانية عميقة، وغوص في أغوار النفس البشرية، صاغها "طبيب القلوب" ابن القيم بأسلوب يجمع بين دقة العالم، وعاطفة المحب، وبلاغة الأديب.

الطبيب الذي ألف الدواء: من هو ابن القيم؟🧑‍⚕️

قبل أن ندلف إلى روضة الكتاب الغنّاء، لا بد من وقفة مع غارسها .**الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي**، المعروف بـ **ابن قيّم الجوزية** (٦٩١-٧٥١ هـ)، هو أحد أبرز علماء الإسلام في القرن الثامن الهجري. كان تلميذاً نجيباً لشيخ الإسلام ابن تيمية، ولازمه حتى أصبح كظله، متأثراً بعلمه ومنهجه.

عُرف ابن القيم بغزارة علمه، وسعة اطلاعه، وقدرته الفذة على تحليل المفاهيم الإيمانية والتربوية وربطها بواقع حياة المسلم. كتاباته ليست جافة، بل هي نصوص تنبض بالحياة، تخاطب العقل والقلب معاً، وكأنها مرهم يشفي جراح النفس وبلسم يداوي علل القلوب.

جوهر الكتاب: الإيمان بين جناحين ⚖️

يقوم الكتاب على فلسفة إيمانية عظيمة مستوحاة من الحديث النبوي الشريف" :**عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير... إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيراً له.**"

من هذا المنطلق، يرى ابن القيم أن حياة المؤمن كلها تدور بين مقامين عظيمين هما بمثابة جناحين يطير بهما إلى ربه:

- **جناح الصبر :**🛡️ لمواجهة المصائب والشدائد والابتلاءات.
- **جناح الشكر :**🎁 لاستقبال النعم والمنح والعطايا.

فالمؤمن الكامل هو من يحسن التعامل مع كلتا الحالتين، فلا يطغى عند النعمة، ولا يجزع عند النقمة.

رحلة في أعماق الكتاب: أقسامه ومحاوره 🗺️

قسم ابن القيم كتابه ببراعة منهجية إلى قسمين رئيسيين، يتناول كل قسم أحد جناحي الإيمان بالتفصيل والتحليل.

القسم الأول: حصن الصبر المنيع (فقه الصبر)

لم يترك ابن القيم جانباً من جوانب الصبر إلا وأشبعه بحثاً، ويمكن تلخيص هذا القسم في المحاور التالية:

١. **حقيقة الصبر وماهيته :**يبدأ بتعريفه لغةً وشرعاً، مبيناً أنه "حبس النفس عن الجزع، واللسان عن الشكوى، والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب."

٢. **أنواع الصبر ومراتبه :**يقدم تقسيماً ثلاثياً شهيراً أصبح أساساً لكل من يتحدث عن الصبر:
   - **الصبر على طاعة الله :**الثبات على أداء الأوامر رغم المشقة (كالصلاة في البرد، والجهاد).
   - **الصبر عن معصية الله :**كف النفس عن الشهوات المحرمة ومغريات الدنيا.
   - **الصبر على أقدار الله المؤلمة :**استقبال المصائب (كموت عزيز أو خسارة مال) بقلب راضٍ ومحتسب.
   - *لطيفة* :يوضح ابن القيم أن النوعين الأولين (الصبر على الطاعة وعن المعصية) هما **صبر اختياري**، وهو أعلى درجة من الصبر على الأقدار الذي هو **صبر اضطراري**.

٣. **جزاء الصابرين وثماره :**يستعرض عشرات الآيات والأحاديث التي تبين عظيم أجر الصابرين، مثل:
   - **معية الله الخاصة" :**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ."
   - **الأجر بغير حساب" :**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ."
   - **محبة الله" :**وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ."

القسم الثاني: كنز الشكر الخفي (فقه الشكر)

بعد أن رسّخ قواعد الصبر، ينتقل بسلاسة إلى شقيقه ومكمّله، وهو الشكر.

١. **حقيقة الشكر وأركانه :**يوضح أن الشكر ليس مجرد كلمة "الحمد لله" تقال باللسان، بل هو منهج حياة متكامل يقوم على ثلاثة أركان:
   - **شكر القلب :** ❤️ الاعتراف والعلم بأن كل نعمة هي من الله وحده.
   - **شكر اللسان :** 🗣️ الثناء على الله وحمده والتحدث بنعمته.
   - **شكر الجوارح :** 🏃 تسخير النعم في طاعة المنعم (استخدام البصر في قراءة القرآن، والمال في الصدقة).

2. **الشكر قيد النعم الموجودة وصيد النعم المفقودة :**يشرح كيف أن الشكر يحفظ النعم الحالية ويستجلب المزيد منها، مصداقاً لقوله تعالى: "لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ."
3. **الجدل الفقهي العميق: الغني الشاكر أم الفقير الصابر؟** 🤔
في واحد من أمتع فصول الكتاب، يخوض ابن القيم في هذا السؤال الفلسفي العميق. يستعرض حجج الفريقين بإنصاف وموضوعية، ثم يخلص إلى نتيجة بديعة وهي أن **الأفضلية ليست بالفقر أو الغنى، بل بالتقوى** .فأفضلهما هو أتقاهما لله، سواء كان غنياً أدى حق الشكر، أو فقيراً أدى حق الصبر.

لماذا يعد هذا الكتاب كنزاً لا يفنى؟ 🌟

تكمن أهمية "عدة الصابرين" في عدة نقاط جعلته مرجعاً خالداً:

- **دليل عملي :**هو ليس كتاباً نظرياً، بل خارطة طريق عملية للتعامل مع تقلبات الحياة.
- **عمق نفسي :**يقدم تحليلاً نفسياً إيمانياً دقيقاً لمشاعر الحزن والقلق والرضا والفرح.
- **موسوعة شاملة :**يجمع مئات الأدلة من القرآن والسنة وأقوال السلف في مكان واحد وبترتيب منطقي.
- **أسلوب مؤثر :**لغة ابن القيم الأدبية الراقية تأخذ بمجامع القلوب وتجعل القراءة تجربة روحية فريدة.

نظرة نقدية وملاحظات 🧐

رغم مكانة الكتاب العظيمة، يذكر بعض الباحثين ملاحظات لا تقلل من قيمته، بل تضعه في سياقه العلمي الصحيح:

1. **بعض الأحاديث الضعيفة :**كعادة كثير من المصنفات القديمة، استشهد ابن القيم ببعض الأحاديث والآثار التي حكم عليها علماء

الحديث المتأخرون بالضعف. ومع ذلك، فإن أصول الكتاب وقواعده الأساسية مبنية على أدلة صحيحة وثابتة.

٢. **الاستطرادات الطويلة :**أحياناً، يستطرد المؤلف في مسائل لغوية أو فقهية دقيقة قد تكون صعبة على القارئ غير المتخصص، وإن كانت ممتعة للمتخصصين.

٣. **الكثافة المعرفية :**الكتاب دسم المحتوى وغني بالمعلومات، مما يتطلب من القارئ تركيزاً وصبراً أثناء قراءته لتحصيل كامل فائدته.

الخاتمة: زادٌ لا ينضب💧

في النهاية، يظل كتاب **"عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين "**واحداً من تلك الكتب النادرة التي لا تبلى بمرور الزمن. إنه رفيق درب، ومواساة للمحزون، وتذكرة للغافل، ومرشد للحائر. من يقرأ هذا الكتاب بقلبه، يخرج منه بإدراك جديد لمعنى الحياة، مسلحاً بعدّة الصبر لمواجهة الشدائد، وممتلئاً بذخيرة الشكر للاستمتاع بالنعم. إنه بحق، زادٌ لا ينضب لكل سالك في طريقه إلى الله❤️📖 .